

## **الصناعة المعجمية الحديثة بين النظرية والتطبيق**

### **مادة "الرأس" في القواميس العربية**

أ.د. رشيد بن مالك  
مدير سابق لمركز البحث العلمي  
والتقني لتطوير اللغة العربية  
الجزائر

#### **٤. الإطار المنهجي العام**

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الاقتراب المنهجي من المفاهيم الأساسية في الصناعة المعجمية الحديثة والسبل الكفيلة بتحديدها وضبط إطارها المنهجية نظرياً وتطبيقياً. ونعتبر هذه الخطوة أساسية من الناحية الإجرائية، لأنها ستعمل على إزالة الالتباسات التي تكون نتيجةً للمنطلقات غير المؤسسة ونتيجة هذه التزعع، أيضاً، في التعامل مع المفاهيم وكأنها محورة من النسق العام الذي تنتهي إليه. إن الحديث عن الصناعة المعجمية الحديثة يستوجب تعميق المعرفة حول المفاهيم المتاخمة لها (المعجم، القاموس، المعجمية، الرصيد اللغوي) والتي غالباً ما تتدخل معها. وسيقودنا هذا التحديد الذي نعتبره ضرورياً في أي ممارسة معجمية، إلى إثارة بعض القضايا المقرنة بالاقتراب المعنوي من المفردات اللغوية وإمكانية إدراجها في الصناعة المعجمية نظراً للحلول التي يقدمها في تنظيم المادة المعجمية. وسنركز في هذا على المُسلمة المركزية التي ينهض عليها التحليل المعنوي وهي أن مدلول المفردة قابل للتجزئة إلى وحدات معنوية صغيرة. وستتمكننا هذه الوقفة من تسلیط بعض الأضواء على الجوانب التطبيقية التي كان لها عميق الأثر في بلورة التحليل المعنوي، وبيان أهميته في ترتيب المادة المعجمية. وستتمكننا هذه الوقفة من تقصي مفردة الرأس في بعض القواميس

العربية القديمة والحديثة بقراءة شروحتها وتجليّة مستوياتها الدلالية، والنظر في طريقة توزيعها، واقتراح بعض البدائل لتنظيم المادة المعجمية لهذه القواميس.

### 1. المفاهيم الأساسية في الصناعة المعجمية الحديثة.

#### 1.1. بين المعجمية والرصيد اللغوي والصناعة المعجمية

من الواضح أن المعجمية (lexicologie) تُستعمل للدلالة على دراسة المعجم (lexique) والرصيد اللغوي (vocabulaire) في علاقاته بكل المكونات اللغوية الأخرى. وتعد المعجمية مادة تعليمية حديثة العهد ظهرت لأول مرة في الموسوعة الفرنسية في حدود 1765، ولم تكن الفوارق بينها وبين الصناعة المعجمية (lexicographie) آنذاك واضحة المعالم، إذ كثيراً ما كان يقع بينهما الالتباس إلى درجة اعتبارهما مترادفين. وبفضل تعاليم ف. د. سوسيير حققت المعجمية استقلاليتها. ولعل أهم إنجاز أرساه سوسيير في هذا المجال يكمن في انتقاده التصور الذي يقضي بأن اللغة مجرد قائمة من التسميات، بالتشديد على أن معنى الكلمة سلبي خالص بما أنها منخرطة في نظام من العلاقات وتأتي حقيقتها الدالة من القيود التي يفرضها هذا النظام؛ وعلى هذا الأساس، فإن الكلمة تسهم في بنية المعجم التي ينبغي أن تدرس في إطار العلاقات النظمية والاستبدالية.<sup>1</sup> وباعتباره مصطلحاً لسانياً عاماً يُستعمل المعجم lexique للدلالة على مجموع الوحدات المكونة للرصيد اللغوي لجماعة أو لنشاط إنساني أو لمتكلّم. ويقودنا هذا التعريف إلى النظر في الرّوج مُعجم / رَصِيد لغوي (lexique/vocabulaire) على أنه مرتبط بال مقابلة لسان/كلام (في مُصطلحية سوسيير) ولسان/خطاب (في مُصطلحية غيوم)، وعلى هذا الأساس يحيل المعجم على اللسان والرصيد اللغوي على الخطاب. ومن ثم، فإن المعجم يتشكّل من وحدات مضمّرة هي المفردات (lexèmes) وتتحول هذه إلى ألفاظ بمجرد تحينها في الكلام أو الخطاب. يشكل مجموع الألفاظ الرّصيد اللغوي الذي يكون بالضرورة مربوطاً بنصٍّ شفوي أو مكتوب، طويل أو قصير، مُتجانس أو متنافر، في حين أن المعجم

1 - J.Dubois, Mathée Giacomo et autres, *Dictionnaire de linguistique*, larousse/ Bordas, Paris, 2001.

يتسامي على النَّص ويقترب بمتكلم أو أكثر. يفترض الرَّصيد اللُّغوي للنص وجود معجم. ولمزيد من التَّوضيح، يتحدد مُعجم المتكلم بمجموع الألفاظ التي يستعملها أو يُمكن أن يستعملها في الخطاب أو الكلام. ليس الرَّصيد اللُّغوي لهذا المتكلم إلا قِسماً من المعجم، مجموعة فرعية عنه، عَيْنَةٌ مِنْهُ<sup>2</sup>. وداخل هذه المقابلة بين المعجم والرَّصيد اللُّغوي، يُمكن أن نتصوَّر المعجم من وجهات نظر متعددة. ومن ثم، فإنَّ المعجم المتصور يتعلق بمعجم المتكلم (في الحالة التي يأتي فيها النَّص من مَصدر تلفظي واحد، أو في الحالة التي تتشكل فيها المدونة من تجميع الأفعال اللُّغوية المعزولة لمتكلم واحد). إنَّ المدونة المشكلة لا تُقدم، على أهميتها، إلا رصيداً لغويَا ولا يمكن أن تشي بمعجم (الإمكانات المعجمية أو كفاءة) المتكلم. يستوجب الانتقال من الرَّصيد إلى المعجم الأخذ في الحسبان امتلاك المتكلم رصيداً سلبياً؛ توجد مفردات عديدة مفهومة ولكنّها لا تتحقق في أيٍّ وضعية من الوضعيات التلفظية. أما المعاجمية أو صناعة المعاجم، فإنَّها تقنية إعداد هذه القواميس والتحليل اللُّساني لهذه التقنية. من جهة أخرى، إن القاموس (Dictionnaire) جَرْدٌ من مفردات اللغة الطبيعية الموضوعة في نظام اصطلاحِي أَقْبائي ومسَقلة عن بعضها البعض، ويقدِّم مجموعة من المعلومات المترنة بمعناها واستعمالاتها. يُعدُّ القاموس امتداداً للمعجم وليس هو بمسَقل عنده؛ فالقاموسُ هو رصيْدٌ لغويٌّ جزئيٌّ مُستخرج من المعجم الذي هو الرَّصيد اللُّساني العام الذي تكون الوحدات المعجمية فيه الوحدات اللُّغوية الأساسية في لغةٍ جماعِيَّةٍ لغويةٍ ما (...). ومهمها يحاول مؤلف القاموس الاستيعاب والاستقصاء، فإنه لا يستطيع الإحاطة بكلِّ الرَّصيد المكون للمعجم. ولذلك فإنَّ القاموس لا يكون إلا جزئياً، لكنه على جزئيته متصل إلى المعجم لأنَّه جزءٌ مُستخرج منه<sup>3</sup>. بعد هذه الإطلالة المنهجية على بعض المفاهيم الأساسية التي بدأنا الوقوف عليها ضرورياً لأخذ فكرة عن الصناعة المنهجية ومُكوناتها الرئيسية

2 - R.Galisson/D.Coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette, Paris, 1976.

3 - إبراهيم بن مراد، صلة التأليف القاموسي العربي الحديث بالنظرية المعجمية في: الدراسات المعجمية، العدد السادس والثامن، منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، الرباط المغرب، ص.<sup>52</sup>.

والفوارق الدلالية التي تقوم بينها، ستنتقلُ الآن إلى دراسة التحليل المعجمي أو المكوني الذي يُعد من أولى المحاولات المباشرة لتجزئة معنى الكلمة إلى وحدات معنوية بسيطة. وقد ظهرت في سياق ما نُسميه التحليل البنوي الذي كان سائداً في السينينيات. وتكمّن الأهمية النهجية للتّحليل المعجمي في الدور الذي يمكن أن يؤديه في تنظيم المادة المعجمية للقاموس وتمييز مختلف المعاني الممكنة للمعاني الغامضة.

## 2. المفاهيم الأساسية للتّحليل المعجمي

### 1.2. التّحليل المعجمي عند بيرنار بوتي

يعدُّ بيرنار بوتي من الباحثين الأوائل الذين صرّفوا جُهودهم إلى دراسة الظاهرة اللغوية متخصصاً في ذلك بعض المسائل المتعلقة بدراسة المفردات التي تبدو على جانب كبير من الصعوبة. وقد استطاع مع ذلك أن يُحكم سيطرته على الإجراءات الكفيلة بتطويعها ويقترح بعض البديل المنهجية لدراسة المفردات. ويمكن أن نُمثل لذلك بالدّراسة حول مفردة المقعد التي قام بها في بداية السينينيات والمتضمنة في بحوث حول التّحليل الدلالي في اللسانيات والترجمة الآلية<sup>4</sup>. وقد لاحظ بوتي أن الفرد يطلق دائماً الكرسي على فئة من الأشياء حتى وإن استحال وجود كرسيين متطابقين بدقة في الواقع. وعلى هذا الأساس، يقترح مجموعة من السمات التي تشتّرك فيها التسميات الموضوعة للأشياء على الرغم من هيئتها المختلفة. وهذه السمات هي التي تدخل في تشكيل التعريف الذي يمكن أن يوضع لمفردة الكرسي.

/ المسند/ ، / على قدم/ ، / الشخص واحد/ ، / للجلوس/

إن هذه الفئة التي تضمّ السمات الثابتة هي مجموع المعانم التي تشكل المعنم المركب "كرسي". وإذا قارنا هذا المعنم المركب في الجدول أدناه بمعانم

4 - B.Pottier, *Recherches sur l'analyse sémantique en linguistique et en traduction mécanique*, Strasbourg, 1963.

مُركبة مجاورة تضمُّ مع فارق ضئيل، المعانم نفسها، فإنّنا ننتهي إلى ضبط المعانم التي يميز غيابها واحداً من المعانم المركبة. وتسمى هذه المعانم "السمات الملائمة" أو "المعانم الخلافية"<sup>5</sup> وهذا ما يمكن أن نلحظه في الجدول الآتي:

الفردات	للجلوس	على قدم	لشخص واحد	بالاظهر	بالمساند	بهادة	6م
+ + + + + + +	كُرسٍي						
+ + + + + + +	متَّكأ						
+ - - + + + +	إِسْكُملة						
+ + + - + + +	أَرِيَكَة						
- - - + - - +	نَمْرِق						

## 2. ردود أفعال السيمائيين والتّصور الجديد للتحليل المعنوي

وعلى الرَّغم من أنَّ هذه الرؤية المنهجية في تحليل المفردات أُسهمت في التأسيس لمسألة الاقتراب من المفردة، فإنها أثارت ردود فعل الباحثين في الدراسات السيميائية. ويفضي على رأس هؤلاء أ. ج. غريماس الذي لاحظ أنَّ هذا الوصف يظهر تلاقي نظمتين متنافرين: نظام فضائي / مرئي وحقل دلالي غير محدد متعلق بالبعد الوظيفي للمعنى التي تدخل في تشكيل المعنى المركبة<sup>٥</sup>. إذا كان / للجلوس / و/ الشخص واحد / مرتبطين بالجانب الوظيفي، فإن كلَّ المعنى الأخرى (م٢، م٤، م٥ و م٦) تُحيل على الطبيعة الجوهرية للمقعد. ويستغرب كورتيس من وجود معنِّم مشترك لكل هذه المقاعد (م١) وهو لا

5 - Anne Hénault, *Les enjeux de la sémiotique*, PUF, Paris, 1979, p.53.

6 - A.J.Greimas, Sémantique structurale, PUF, Paris, 1986, p.37.

يرتّهنُ في علاقته بها إلى طبيعتها بل إلى وظيفتها. ولِاستكمال التحليل، كان من المفروض أن يشير م<sup>1</sup> ليس فقط إلى غايتها (= /للجلوس/)، بل إلى مصدرها أيضاً/ مصنوع للجلوس/، وهذا يسمح مثلاً باستبعاد الطاولة، أو الجدار أو الحجرة مادامت هذه المواقع يمكن أن تُتَخَذ عند اللزوم /للجلوس/?.

ويبدو أن البنية هنا صادرةٌ مباشرة عن المقابلات الوظيفية الموجودة بين هذه المواقع المختلفة. ولئن كان هذا النوع من الوصف عملياً في أثناء تقسيي الرّصيـد اللـغـوي المسـخـر لـتـسـمـيـة المـوـضـوـعـات المـادـيـة، فإـنه يـبـدو أـقـل وـضـوـحـاـ في ما عـدـاهـاـ.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نتساءل عما إذا كان مفيـداـ جداـ أن تـقـرـ بـمعـانـمـ على قـدرـ قـلـيلـ من التـجـريـدـ مثلـ "بـالـسـنـدـ" أوـ "لـلـجـلوـسـ" وهـيـ فيـ الـوـاقـعـ لاـ تـمـكـنـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ مـغـادـرـةـ مـجـالـهـ المـحـدـودـ؛ـ وـمـنـ ثـمـ،ـ فـإـنـهاـ لـيـسـتـ كـفـيـلـةـ بـالـأـنـتـهـاءـ إـلـىـ هـذـهـ الـفـنـاتـ الصـغـيرـةـ الـمـغلـقـةـ مـنـ الـعـنـاـصـرـ الدـلـالـيـةـ ذاتـ الـعـمـومـيـةـ الـكـبـيرـةـ وـالـتـيـ يـبـغـيـ،ـ فـيـ رـأـيـ هـيـاـلـسـلـافـ،ـ أـنـ يـشـكـلـ توـافـقـهـاـ التـنـظـيمـ الـعـمـيقـ لـلـدـلـالـةـ فـيـ لـغـةـ مـعـطـاـةـ.ـ إـنـ نـظـرـيـةـ الـمـعـانـمـ عـلـىـ النـحـوـ الـذـيـ قـدـمـهـ بـهـ بـ.ـ بوـتـيـ،ـ لـاـ تـسـمـحـ بـافـتـراـضـ الـوـحدـاتـ الـدـنـيـاـ ذاتـ التـجـريـدـ الـكـافـيـ وـالـعـدـ الـمـحـدـودـ لـتـقـرـيـبـ السـيـمـيـائـيـةـ مـنـ النـموـذـجـ الـفـونـولـوجـيـ.

إن الدراسة التي قدمها بوتيي وبعض الباحثين الذين جاءوا من بعده لم تنظر إلى المفردة من منطلقات العلاقات التي تقيـمـهاـ فيماـ بـيـنـهاـ الـمـعـانـمـ التيـ تـدـخـلـ فيـ تـشـكـيلـهـاـ بلـ عـلـىـ أـسـاسـ التـجـزـئـةـ الـاعـتـباـطـيـةـ لـلـدـلـالـةـ.

وعلى هذا الأساس، صاغ گريماـسـ وتـلـامـذـتهـ اـقتـراحـاتـ بوـتـيـ فيـ إطارـ رـؤـيـةـ جـديـدـةـ تـعـقـدـ أـهـمـيـةـ لـلـعـلـاقـاتـ الـتـيـ تـقـيـمـهـاـ الـعـنـاـصـرـ فـيـ بـيـنـهـاـ.ـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـطـلـقـاتـ،ـ يـسـتـعـمـلـ الـمـعـنـمـ sèmeـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ الـوـحدـةـ الـدـلـالـيـةـ الـقـاعـدـيـةـ،ـ وـهـوـ لـاـ يـظـهـرـ بـهـذـهـ الصـفـةـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ الـعـلـاقـةـ الـتـيـ يـقـيـمـهـاـ مـعـ عـنـصـرـ آـخـرـ.ـ وـلـمـ كـانـ

وظيفته خلافية، فإنه لا يُدرك إلا في إطار البنية. إذا أخذنا على سبيل المثال : "ابن" و "بنت" ، يمكن أن نقول إنها يضمّان معنًى مشتركاً على المحور الجيلي (في علاقة بنوة إزاء أحد الوالدين أو كليهما) ومعنًى مختلفاً على محور الجنس : الذكورة في الحالة الأولى، والأنوثة في الحالة الثانية. حتى نوضح هذه المسألة، نستعين بالمثال الذي ضربه كورتيس في كتابه السيميائية السردية والخطابية<sup>8</sup>:

بنوّة	إنجاب	لا بالغ	بالغ	أنثى	ذكر	إنساني	رجل	امرأة	طفل	أب	أم	ابن	بنت
+	+	-	+	+	°	-	+	+	+	+	+	+	+
-	+	-	+	-	°	+	-	-	-	+	-	-	-
+	-	+	-	-	+	+	-	-	-	-	-	-	-
°	°	+	+	-	-	+	-	-	-	-	-	-	-
°	°	-	-	-	+	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	+	+	-	-	°	-	-	-	-	-	-	-
+	+	-	-	-	+	°	°	°	°	°	°	°	°

ترتبط دلالة المفردات بالمعانم التي تنضوي تحتها. ويكتفي أن نستبدل عنصراً داخل المجموعة المعنمية بعنصر آخر ليتغير المعنى كلياً. ولئن كانت اللسانيات تقرّ منذ سُوسير بأن العلامات تدرك من منطلقات النظام الذي تحكم إليه، فإن المضمون الدلالي للوحدة يخضع بشكل كامل إلى العلاقات التي يقيّمها مع مضمون الوحدات الأخرى. ومن ثم، فإن المفردات التي تشارك مع معنّم أو معانم عديدة تجمع من خلال علاقة واصلية تؤسس لانتهاها إلى نفس الحقل. غير أن النظام المعنمي في كلّيته لكل مفردة يتضمن حضور عدد محدد من المعانم وغياب معانم أخرى. ويعمل هذا الغياب، من منطلقات قاعدة معنمية مشتركة، على تَجَلٍية مقابلة تفاصيل مفردة معطاة عن المفردات الأخرى من

8 - J.Courtés, *Introduction à la sémiotique narrative et discursive*, Hachette, Paris, 1976, p.47.

المجموعة<sup>9</sup>. يجدر بنا أن نميز في هذا السياق بين المعانم النووية والمعانم السياقية. تدخل المعانم النووية في تشكيل النواة المعنمية التي تستعمل للدلالة على حضور الحد المعنوي الأدنى القار. ضمن هذا السياق تدل المعانم المركبة على تفاعل النواة المعنمية بالمعانم السياقية التي ترتهن في وجودها إلى الدور الذي يؤديه السياق باعتباره وحدة خطابية موجودة في وحدة أرقى من المفردة. وحتى نوضح هذه المسائل نستند إلى مثال ضربه غريماس<sup>10</sup> بخصوص مقطع من الخطاب في غاية البساطة :

### الكلب ينبح

إن التحليل السياقي لـ نبح الذي يسمح لنا باستنباط النواة المعنوية نـ 1 ول يكن "نوعا من الصراخ" يبرز وجود فتئين سياقيتين يمكن أن تتفاعل مع نبح. فئة الحيوانات: الكلب، الشغل، ابن آوى وفئة البشر: الرجل، ديوجين، هذا الطموح. تتميز كل واحدة من الفتئين بحضور معنٌ مشترك. يتعلق الأمر في الحالة الأولى بمعنى "حيواني" وفي الثانية بمعنى "إنساني". ويشكل تفاعلهما مع النواة نـ 1 معنمين مركّبين مختلفين: صراخ الإنسان / صراخ البشر.

#### 1.2.2. التحليل المعنوي بين الوضع والاستعمال.

من الواضح أن المفردة تُغطي مجموعة من المعانم، وهي بوصفها إضمارا سابقا في الوجود على التلفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة والتي في انطلاقها من نواة مشتركة تفضي في كل مرة بفضل لقائهما بالمعانم السياقية المختلفة إلى عدد من التتحققات في شكل معانم مركبة (...). غير أن كل تحقق متنظم يعلق مجموعة من الإمكانيات غير المستغلة وتكون جاهزة للتحقيق في هذا السياق أو ذاك.

9 - M.Bonan Garrigues, J.Elle: *Essai d'analyse sémiotique in Cahiers de lexicologie*, volume XIX 1971, II, Didier-Larousse, Paris, 1971, p.72.

10 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986, p.51.

ومهما يكن سياق الاستعمال، فإن المفردة تعد سلفاً وحدة دلالية حقيقة تتضمن نواة معنمية قارة نتعرف عليها من خلالها بهذه الصفة وفي أي موضع. ولتوسيع هذه المسألة، نستعين بعض الأمثلة ضربها جوزيف كورتيس في معرض حديثه عن التلويّنات الدلالية التي تأخذها المفردة من خلال تفاعل المعانم النووية بالمعانم السياقية<sup>11</sup>.

ولتكن المفردة plateau بمعانيها الثلاثة الممكنة:

أ. صينية تستعمل لوضع الأشياء ونقلها.

ب. هضبة.

ج. خشبة يعرض عليها المشهد.

تشتغل هذه المعاني على بعض المعانم النووية المشتركة: / شيء (طبيعي أو اصطناعي) / + أفقية + سماكة... الخ. وهذا لا يصدق على كل الحالات، ذلك أنه لا يمكن أن نحدد دائمًا نواة دلالية تشتراك فيها كل المعانم المركبة لمفردة معطاة، وفي هذه الحالة، يسعى المعجم إلى مضاعفة التجانسات اللفظية. إن المعجمي الذي يخضع لقيود الاستعمال يكون في وضع مرتبك: فهو من جهة يستغل التمفصلات التركيبية والدلالية لتصنيف السياقات من أجل استنباط المعانم والمعانم المركبة، وهي تمفصلات منها كانت درجة إتقانها لا تستنفذ بشكل كلي المدونة الموضوعة قيد الدرس، ومن جهة أخرى، فإنه لا يمكن أن يخرج عن سلطان المعطيات السوسيوتاريجية والثقافية التي تشي بمعانٍ غير متوقعة بنويها ولا يستطيع أن يد مجها في خطاطته على نحو ما نلحظ ذلك في مفردة: «grève» (أرض مسطحة تقع على ضفة نهر) و«grève» (=التوقف الإرادي والجماعي عن العمل). تُجمع المعاجم على اعتبار الوحدتين من التجانسات اللفظية، مُقرّة في ذلك بأنّهما لا تملكان نفس النواة المعنمية وتقترح

مدخلين متميزين (grève<sup>1</sup> و grève<sup>2</sup>) . وهذا يصدق أيضا على نحو تقريري على "louer" الذي يدل تارة على "الإقرار بالإعجاب الجدير" (= louer<sup>1</sup>) وتارة على "استأجر" (= louer<sup>2</sup>) مع اختلاف لا يمكن أن نتعاضى عنه louer<sup>1</sup> مشتق من اللاتينية laudare و louer<sup>2</sup> من locare ؛ وقسّ على ذلك masse "مادة صلبة أو عجينة" من اللاتينية massa أو "مطرقة خشبية كبيرة..." من اللاتينية الشعبية mattea) وهذا ما نلحظه أيضا في détacher الذي يمكن أن يقرأ إما ضدا لـ attacher أو فعلا دالا على إزالة الأوساخ. ومع ذلك فإن حالة grève مختلفة جدا عن تلك المتعلقة بـ louer أو masse ذلك أنه في لحظة معينة من التاريخ الفرنسي أضحت معينا grève متقاربين إذ كانت تعني في القرن التاسع عشر المكوث في ساحة غريف Grève (التي كانت تحيط بباريس نهر السين Seine على مستوى فندق المدينة Hotel de ville الحالي) للحصول على منصب عمل. ومن ثم فإن المفردين لا تدركان على أنها تملكان نواة معنمية مُشتركة : إن الفصلة آتية ليس من الخطاطة، بل من الاستعمال.

من هذه المطلقات يتساءل كورتيس عما إذا كان ضروريًا أن نستبسط في كل مرة ولكل مفردة نواة معنمية قارة ونقف على أساس هذا وفي، مقابلة على المعانم السّيادية؟ ويبدو أن هذه الخطة تفرض نفسها متى اشتغلنا على اللغة وهذه هي حال المُعجماتي الذي يسعى إلى التحديد الدلالي و/أو التركيبي لكل المعانم المركبة الممكنة للمفردة، وبالتجوء إلى الاشتغال على الثوابت (المعانم النووية) والمتغيرات (المعانم السّيادية)، فإنه يحافظ على الأقل على المفردة كوحدة مضمون؛ إن القاموس الذي يعطي فكرة عن وضع اللغة حتى وإن كانت في شكل خطابات خاصة، يلقى قاعدة مضمونة نسبيا، وفي انتقاله من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب، يلاحظ كورتيس أن التمييز لا يُطرح على الإطلاق. ولتكن المفردة "نجمة" التي يمكن أن تتوقع لها معانم مركبة عديدة كما تدل على ذلك الملفوظات الآتية:

1. هذا النور الباهت الذي يسقط من النُّجوم

2. الشمس نَجْمَةٌ

3. جنرال بِنْجُوم

4. إنها راقصة نَجْمَةٌ

نجدُ في الملفوظ الأول المفهوم الشائع للنَّجمة الذي يعمل على الأقل على تجليّة السَّهَات الآتية: / شيء / + / سماوي / + / لامع / + / ليلي / + / قليل الإضاءة /؛ ويقابل هذا المعنم المركب القمر الذي يتضمن على الأقل سمة خلافية: / على قدر من الإضاءة / والشمس بوجه خاص التي تتضمن السَّهَات / كثيرة الإضاءة / و / نهاري / . وتتموقع الجملة الثانية في سياق معاير تماماً وهو خطاب عِلم الفَلك: إن المعانم / قليل الإضاءة / ، / لامع / و / ليلي / تفقد في هذا السياق ملاءمتها وتخلّي المكان لسمة / إنتاج الطاقة / مثلاً؛ غير أن النجمة في 1 و 2 تحافظ على المعنمين الأولين: / شيء / + / سماوي / التي تسمح لنا أن نتعرف فيها على الكوكب (= "كل جسم سماوي طبيعي مَرئي" وهي كلمة اختارها روبيرو كخاصية أولى تعريفية للنَّجمة). لا توجد في الملفوظ 3 أية سمة معنمية مُستنبطة من 1 ربما نستثنى من ذلك معنم / شيء / (ألا يختفي هذا من "فندق ذو أربع نجوم؟")

في 4 لا يبقى إلا معنم واحد / لامع / ولكنّه مأخوذ في معناه المجازي: يتعلق الأمر براقصة سمعتها تلمع وموهبتها أيضاً.

3.2. مادة الرأس بين الوضع والاستعمال في القواميس العربية

في إطار هذا التوجّه المنهجي العام، سنسلط بعض الأضواء على مفردة الرأس في المعاجم العربية . حتى وإن اخترنا هذه المفردة بشكل اعتباطي، فإن الذي يهمنا بالدرجة الأولى في هذا الدراسة هو أن نُبين الكيفية التي تعاملت بها بعض القواميس العربية مع هذه المادة، ونقدم بعض البدائل المنهجية في حالة

وجود اضطرابات أو التباسات من شأنها أن تُشوش على القارئ فهم ما يبحث عنه، مستلهمين في ذلك الإنجازات العلمية التي حققها گريماس في كتابه الدلالية البنوية الذي حمل التبشير الأولى للدلالية المعجمية<sup>12</sup>.

إن تحليل مختلف الأمثلة التي اقترحها القواميس العربية لعرض شروحتها لمفردة "رأس" يبين أنها تستبعد النواة المعنمية للرأس (عضو من الجسم) وتكتفي بمعانمه السياقية، وعني بذلك التنظيمات المعنمية التي يمكن أن تحينها كلمة "رأس" في مختلف توزيعاتها الممكنة، والتي يمكن أن ندركها في انتقال الشارح من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب. ونستثنى منها المنجد في اللغة العربية<sup>13</sup> الذي اقتصر على تعريف روبيرو وتصرّف فيه، يوحى بأنه أقر المعانم السياقية في الثقافة الأوروبية، وسنوضح هذه النقطة لاحقاً. نشير في البداية إلى أن المنجد حدد الرأس على النحو الآتي:

**رأس: ج رؤوس وأرؤس: ما يلي الرقبة من أعلاها في الإنسان ومن مقدمها في الحيوان، فيه الفم والدماغ وأعضاء الحواس ما عدا اللمس.**

وضع المنجد الرأس في قلب المقابلة إنسان / حيوان المضبوطة معنميًا بالعمودية (الأعلى) عند الإنسان والأفقية (المقدمة) عند الحيوان. يحافظ الرأس في هذا الملفوظ على نوياتها المعنمية المدركة من خلال النظر والشم والذوق والسمع، ويستثنى منها ما تعلق باللمس. إن المنجد، في هذا السياق، لا يغادر الإطار العام الذي أقره الوضع، ولا يخرج عن الحدود التي تضطلع بها الوظائف الطبيعية للأقسام الناتئة في الوجه. وإذا انتقلنا من الوضع إلى الاستعمال، فإننا نلاحظ أن المادة المعجمية المخصصة لمفردة الرأس في المنجد، جاءت مُبعثرة تحيل مرة على معانم الفوقيّة ومرة أخرى تحيل بفعل الاستعمال على معانم سياقية جديدة. وقد عايناً في سياقات عديدة هذا التداخل في المستويات الذي يؤثر سلباً في تعامل

12 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986.

13 - صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية ، دار المشرق، بيروت لبنان، 2001.

القارئ مع هذا المدخل أو ذاك، ويعمل بشكل سافر على إحداث خروقات على مستوى وحدة الحقل الدلالي. حتى نبين الأهمية التي يكتسبها التحليل المعنوي في الصناعة المعجمية، ونقدم عناصر مُقنعة عمدنا إلى ترتيب المادة في هذا المعجم إلى مجموعات متجانسة دلالياً تتضمن قواسم معنوية مشتركة.

تشتمل المجموعة الأولى على معنم / الفوقية / + / التحتية / . ويمكن أن نقدمها على النحو الآتي:

أعلى نقطة، القسم الأعلى من شيء، قمة: رأس قبة جرس، رأس جبل، رأس شجرة. شيء مُكور كرأس إنسان: رأس ثوم. طرف: رأس قضيب. طرف رفيع دقيق: رأس إبرة، رأس مسمار. زاوية ناتئة: رأس سندان. موضع تبع في غليون: رأس غليون. فرد من الحيوان: لسان من الأرض داخل في البحر: رأس الرجاء الصالح رأس مثلث: زاوية تتألف من تقاطع ضلعيه فوق القاعدة. رأس جسر: موقع حربي مؤقت تحتله قوة عسكرية استعداداً لاقتحام أكبر أو لإزالة جيوش. رأس زاوية: مُلتقي ضلعيها. رأس شمعدان: القسم الأعلى والمحرك من شمعدان حيث توضع الشمعة. رأس صخرة: جزء صخري من صخر، يكون قريباً من الشواطئ ويشكل خطراً على الملاحة. رأس عمود: تاجه رأس قبة: في هندسة البناء: قطعة من هيكل بناء تشكل ركن سقف وتغطي زاوية أو زوايا السطح البارزة. رأس حيزوم: ما يُنشأ في مقدم سفينة بغية الإمداد بنقط الارتكاز اللازمة لترتيب الصاري المائل، وقيل هو مقدم السفينة الذي يشق الماء. رأس ذهبي: مرجان مذهب.. رأس نووي: القسم الأعلى من مقاذيف نووية مستطيلة. رأس هوائي: الطرف الأعلى من الهوائي. سمت الرأس: نقطة من الكرة السَّماوية واقعة على شاقول المكان فوق الأفق. أم الرأس: غلاف الدماغ. قلبه رأساً على عقب: جعل أعلاه أسفله. رأس كَبْش: آلة حربية لهدم الأسوار.

وتتضمن المجموعة الثانية معنّيٌ / المعرفة / و/ الجهل / و/ اللامبالاة / ويمكن أن نعرضها على هذا النحو :

عقل : ما عِنْدَه رأس . بال ، خاطر : دارت فكرة في رأسه . موجه ، محرك ، عقل مدبر : كان رأس هذه المؤامرة . رأس الفتنة : أساسها . تعب الرأس : إجهاد فكري مرهق ، إرهاق عقلي . ركب رأسه : مضى على غير هُدى لا يطيع مرشدًا . أضاع رأسه : فقد عقله . جح إلى ما أراده فلم يثن عنده . لوى رأسه : أبدى عدم اهتمام .. رأس الحكمة مخافة الله : أسمى درجات الحكمة أن يخاف الإنسان ربه .  
أخذ برأس فلان : أخذ بتلابيه .

وتتضمن المجموعة الثالثة معانٍ / الاتصال / + / لا وساطة / + / حتمية / + / خفة /

فعَلَه رَأْسًا : ابتداء دون إبطاء . عاد رأسا إلى بيته : تَوَّا . صوب رأسا: مباشرة ، حالاً . من المتّج إلى المستهلك : دون وسيط . باب يفتح رأسا على الحقيقة : دون فاصل . أجاب رأسا على السؤال : بدون تردد . إدارة تؤدي رأسا إلى الإفلاس : حتّما ، لا محالة . قفز رأسا على عقب : قفز بخفة ورشاقة مستديرا على نفسه في قلبة كاملة .

أما معجم اللغة العربية المعاصرة<sup>14</sup>، فقد عرف الرأس على النحو الآتي :  
جزء أعلى من البدن ، يحوي العينين والفم والأنف والأذنين وبداخله المخ ، مجتمع الخلقة "أصغى إليه برأسه - {ولَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهُدُوِّ حَلَّهُ} ." .

واقتصر صاحبه فقط على الجانب الفيزيائي المادي للرأس الذي يتقدمه معنٌ الفوقي الذي يضم العمودية (العينين والفم من الأعلى إلى الأسفل) ثم

14 - أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2008.

الأفقيّة (الأَنْفُ الذي يوْسِطُ الْأَذْنَيْنِ) واستبعد تماماً الأبعاد الدلالية لمادة الرأس في السياقات الأخرى.

ويَنْحُو المعجم الوسيط<sup>15</sup> نحو آخر في تعامله مع مادة الرأس، فهو لا يطلع القارئ على نواتها المعنمية وينقيد فقط بمعنم / الفوقيّة/ الذي يحدد الوجهة الدلالية التي تأخذها الرأس، على مستوى الاستعمال في اقتراحها بالمعنى السياقي؛ فهي تارة تدل على النُّبُل، وطورا على الزَّمْنِيَّة، وتارة أخرى على العدد، وطورا آخر على الاستثمار، وهذه المعانم السياقية لا علاقة لها بالرأس، ولا بآلياته الوظيفية ولا بنوياتها المعنوية.

الرأس من كل شيء: أعلاه. وسيد القوم. ورأس الشهير والسنّة: أول يوم منها. ويقال: عنده رأس من الغنم: فَرْدٌ منها. وعنده خمسة أرؤوس. (ج) أرؤوس، ورؤوس. ورأس المال: جملة المال التي تستثمر في عمل ما.

من منطلقات هذه الوقفة، وهذا التوزيع المعنوي إلى مجموعات دالة الذي باشرناه، يمكن أن ندرك الأهمية المنهجية للتحليل المعجمي في ترتيب مختلف المسارات الدلالية للمدخل، ونظم المادة المعجمية بشكل يضمن لنا الوقوف عند كل الاختيارات التي يمليها هذا المدخل أو ذاك بطريقة محكمة. وعلى هذا الأساس، فإن القارئ لا يلقى مشقة في الانتقال من مستوى إلى آخر وفي ضبط القيم الدلالية للعناصر التي تدخل في تشكيل كل مستوى.

وكان من الممكن أن تستقيم أمور هذه القواميس في تعاملها مع هذه المادة لو تم فقط استغلال البديل التي تقدمها المعاجم التراثية في أثناء تصديّها لمادة الرأس، والإفادة على الأقل مما تقدمه من مادة معجمية غزيرة، وشروحات وافية لاسيما تلك المتعلقة بالمعاني الصورية. وهي لا تتوقف فقط عند النويات المعنوية للمفردة بل تتعدّاها لتشمل مختلف استعمالاتها.

---

15 - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة إسطنبول، تركيا.

ومن ضمن هذه المعاجم نذكر **المخصص** لابن سيدة<sup>١٦</sup> الذي يقدم شرحا مفصلا للرأس من خلال ضبط كل مكوناته، ما ظهر منها وما بطن، وتخيل هذه المفردات معانم سياقية قد تحافظ على النواة المعنية وقد تنزاح عنها، على نحو ما تلحظ ذلك في المسارات المعنية الآتية:

**أعلى الرجل: رأسه،**

**رأس الإنسان قلته والجمع قلل وقلال..**

**وفي الرأس اهامة: وهي وسط عظم الرأس والجمع هام وهامت.**

**هامة الراكب إذا بدا لك رأسه في الصحراء.**

**الفروة: جلدة الرأس فباطنها الأدمة.**

**لحمة الرأس: ما بطن من جلده مما يلي اللحم.**

إن هذه السياقات التي يعرضها ابن سيدة في هذه الأمثلة تبرز المعنى الصوري للرأس في بعده المعجمي الناوي الثابت : و يمكن أن نحفظ بالنواة : / طرفية/+ / فوقية/ التي تشتعل على مستوى ظاهر الرأس. ثم ينتقل بعد ذلك إلى باطنه الذي يتحقق عبر المسارات المعنية الآتية :

**الدّماغ: حَشُو الرأس والجمع أدمغة ودمغ. وفي الرأس الحجممة وهو العظم الذي فيه الدماغ. ضربت مكوك رأسه على التشبيه بالمكوك من الأواني.**  
**النَّعامة: الجلدة التي تغطي الدماغ. الفراش ما تَطاير من عظام الرأس. خشارم الرأس: ما رق من السحاء التي تكون في خياشيم الرأس، وفي الرأس المفرق وهو مجرى فرق الرأس من الجبين إلى الدائرة.**

**ويُعرِّج بعد ذلك إلى ظاهر الرأس ليحدّد عبره شكله:**

---

16 - ابن سيدة، المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

والدائرة هي التي في وسط الرأس التي ينتهي إليها فرق الرأس وفيه القرنان. وهم ناحيتا الهامة وحرفاها عن يمين وشمال، وفيه الفودان وهم جانبا الرأس. كل شق فود.

بناء على هذا، يمكن أن نضيف إلى ما سبق معنُم الدّائريَّة:

/ دائريَّة / + / طرفية / + / فوقية /

ثم لم يلبث ابن سِيدة أن يقدم بشكل تراتبي تفاصيل دقيقة بمفردات تعكس موقع العناصر الظاهرة من الرأس:

الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. والجمع أَفْواد. الحفافان: ناحيتا الرأس والجمع أَحْفَة. المذوران: ناحيتا الرأس مثل الفودين. وفيه صفحاء، وهم جانبه من أسفله والحيود: ما شخص من نواحيه واحدها حيد والقمحدة هي الناشزة فوق القفا بين الذؤابة والقفا قد انحدرت عن الهامة إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه. وهي حلاوة القفا. والقصاص: منتهى منبت الشعر في الرأس مما يلي الوجه. سرير الرأس مستقره في مُرْكَب العنق. الطبق: موصل العنق والرأس والجميع أطباق. النصل: الرأس بجميع ما فيه. الفائق: عظم صغير في القفا في مغرز الرأس من العنق...

بعد هذه التحديدات، ينتقل إلى الجبهة التي تحمل نواة معنمية وتمثل في القسم / الأمامي / و/الأعلى/ من الرأس وقد وردت الجبهة مقترنة بمعنين سياقيين:

الجَبَهَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ: مَوْضِعُ السُّجُودِ وَالْجَمْعِ جَبَاهُ.

رجل أَجْبَهُ: عَرِيْضُ الجَبَهَةِ حَسْنُهَا.

يحدد الأول الوظيفة الدينية التي تؤديها الجبهة في أثناء اتصال بالأرض. سَجَدَ: انحنى خاضعا، وضع جبهته على الأرض.

ويحدد الثاني الوظيفة الجمالية للجبهة.

ثم ينتقل ابن سيدة إلى الحديث عن الأشكال التي تتخذها مفردة الرأس:  
**الرأس الأكبس**: المستدير الضخم. **الرأس المؤوم**: وهو الضخم المستدير.  
**وفي الرؤس الصعل**: وهو صغر فيه مع دقة في العنق. إنه لصندل الرأس: عظيمه.  
**رأس صير**: صلب شديد. **الصعبور والصعروب**: الصغير الرأس من الناس.  
**الصعب**: الصغير الرأس والمفرط والمفلطح والأفطح.

إن السياقات التي يعرضها ابن سيدة في هذه الأمثلة تبرز المعنى الصوري للرأس في بعده المعنوي النّووي الثابت.

الشعر: نبطة الجسم ما ليس بصوف ولا وبر، الواحدُ شَعْرَة... الغفر:  
 الشعر اللين الرقيق الذي يبدأ في رأس الصبي، وكذلك هو من الشيف إذا تساقط عن رأسه فلم يبق فيه إلا ذلك الشعر وقد يكون في الفراخ. **الضَّفِيرَة**: كل خصلة من الشعر على حدة والجمع ضفائر. **الزَّعْر**: قلة الشعر في الرأس. **الصلع**: ذهاب الشعر من مقدم الرأس، وقد صلع صلعاً وصلعة فرع أصلع وامرأة صلعاء. **والصلعة** موضع الصلع<sup>71</sup>. وفي باب التشعث يعرض ابن سيدة إلى الشعث وهو التباد الشعر واغبراره وحف رأس الإنسان إذا شعث.

كما تناول ما يعرض للشعر من الحكة ونحوها، والامتشاط والفي ونحوهما من العلاج:

**فُلان يتهمَّ رأسه** أي يفليه وهمت المرأة في رأس زوجها: فلتة. **فليت رأسه** **فليا**: بحثه عن القُمل. **والتفت أيضاً** إلى الشيب ونعوتة. لفع الشيب رأسه: شمله. استطار الشيب في رأسه: انتشر. **أخلس رأسه**: ايض بعضه (77). **اشهب رأسه** **واشتهب**: غلب بياضه سواده (78).

و**تعرَّض أيضاً** إلى حلق الشَّعْر:

## صلْمَع وصَلْقَع وجلْمَط وزَلْقَرِنَة رأسه حَلَقَه. ثم التفت إلى الأذن وما فيها وصفاتها والوجه (88)

كما نلاحظ، فإن ابن سيدة عَمَد إلى الترتيب بالاشتراك وذلك لقناعته بالعلاقة الموجودة بين المفردة الم موضوعة في المدخل الرئيس، والمداخل الأخرى التي لها صلة به. ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن الشروحات التي قدمها في المخصص للمفردات تقتصر فقط على النّوويات المعنوية التي يُمكن أن تشكل قاعدة مُعجمية أساسية للمعاجم العربية الحديثة التي لم تفتأ من الدراسة المهمة التي قام بها ابن سيدة.

ومن الواضح أن المعاجم العربية القديمة تتفاوت في عرض المادة المعجمية. ما نلقاء في هذا المعجم من مادة قد يغيب في معجم آخر، وقد يقدم شروحات إضافية عنه على نحو ما نلمس ذلك في القاموس المحيط للفيروزبادي ولسان العرب المحيط لابن منظور في أثناء عرضهما لمدخل الرأس:

الرَّأْسُ: أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ (...). وبيت رأس: بالشَّام وينسب إليه الخمر.  
ورأس عين: بالجزيرة. ورأس الأكحل: باليمن. ورأس الإنسان جبل بمكة.  
ورأس ضأن: جبل لدوس. ورأس الحمار: قرب حضرموت... ورميَتُ منك في الرأس: ساء رأيك فيَّ. وذو الرأس: جرير بن عطية. وذو الرأسين: خُشين بن لأَيِّ، وأمية بن جُشَّم. ورأس المال أصله<sup>17</sup>.

تقتصر شروحات المدخل في البداية على المعْنَم السِّيَاقِي / الفوقيَّة/ متجاوزة بذلك المعنى الصوري للرأس. ولضمان وحدة الحقل الدلالي يجنب الشارح إلى عرض مختلف السِّيَاقَات التي ورد فيها الرأس وقيدها الاستعمال. وإذا كانت مُفردة الرأس في سياقاتها الجديدة تحتفظ بِمعْنَم الفوقيَّة للدلالة على

---

17 - مجَد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت .571 ص. 2004.

العلُو والبرُوز، فإن دُخولها في علاقة تركيبية بأسماء مكان نكرة أو حيوان أو إنسان يفضي إلى إضافة معنٍ سياقي جديد يدل على المعرفة. وعليه، فإن علاقة التضایف القائمة بين مفردة الرأس من جهة والمفردات بيت، عين، الأكحل، الحمار تكرّس وَضعاً لغويَا قيده تداول أسماء العَلَم. وما يلفت انتباه قارئ هذه الشروحات المنسجمة دلاليًا هو تحللها لاستعمال الرأس في عبارة تنزاح تماماً عن نواته المعنوية والمعنِّم السِّياغي المحدَّد سلفاً، فتخترق بفعل هذا الاستعمال الجديد وحدة الحقل لتُدلَّ على التقييم السُّلبي: ساءَ رأيكَ في. ثم لم يلبث الشَّارحُ أن يعود من جديد إلى الوضع الأول، ولكن هذه المرة باستعمال الرأس في المفرد، ثم في المثنى في علاقة تضایف بـذو الملازمه لـإضافة إلى أسماء العَلَم الظاهرة:

**ذُو الرأس:** جَرِيرُ بْنِ عَطِيَّة. و**ذُو الرأسين:** خُشِينُ بْنُ لَأْيٍ، وآمِيَةُ بْنُ جُشَمَ. ثم يغادر الشارح هذا المستوى للانتقال إلى مستوى آخر يشي بظهور معنٍ جديد من خلال وضع الرأس في تركيب جديد قيده الاستعمال. إضافة المال إلى الرأس : رأس المال أيُّ أصلُه.

إنَّ قراءة سريعةً في هذه الشروحات تقودنا إلى الإقرار بوجود تداخل في المستويات، وهو ربما ناتج عن الفترات المتقطعة التي كُتبت فيها الشروحات، وإلى المدونة المفتوحة التي يستغلُ عليها الشَّارح الذي يرغب في تسجيل أكبر قدر من المستعمل من الكلام. وإذا انتقلنا إلى لسان العرب، فإننا نلاحظ إقبال ابن منظور على تدوين كل ما يحيط بمفردة الرأس، وعلى تسجيل ما لم يُسجل سلفاً، واستبعاد بعض الشروحات المهمة المتعلقة بأسماء العَلَم. وهذا ما نلحظه في أثناء قراءتنا مدخل الرأس:

**رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاه.** قال أبو عبيد: إذا اسودَ رأس الشاة فهو رأسه، فإنَّ بعض رأسها من بين جسدها فهي رَحْماء ومحمرة. ولد ولدُها على رأس واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأساً على رأس أي واحداً في إثر الآخر. ورأس عين ورأس العين كلامها موضع. يقال جاء فلان من

رأس عين إذا كانت عيناً من العيون نكرة، فاما رأس عين هذه التي في الجزيرة فلا يقال فيها إلا رأس العين. أنت على رئيس أمرك أي أوله، والعامّة تقول على رئيس أمرك. رمي فلان منهم في الرئيس أي أعرض عنه ولم يرفع به رأسا واستثنله؛ تقول: رميت منك في الرئيس على ما لم يسم فاعله أي ساءرأيك في حتى لا تقدر أن تنظر إلى. وأعد كلامك على من رئيس ومن الرئيس وقال لا تقول من الرئيس والعامّة تقوله. وبَيْت رأس :اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمور.<sup>18</sup>

وإذا قابلنا هذه المادة بما جاء في معجم القاموس المحيط معأخذ الفارق الزمني للمعاجم بعين الاعتبار، فإننا نلاحظ وجود إضافات استدعتها ضرورة الاستعمال والتداول. وقد عمل ابن منظور على تحجيمتها منذ البداية:

إذا اسودَ رأس الشاةِ فهي رأساء، فإنَّ ايضَ رأسها من بين جسدها فهي رَحْماء وَخَمْرَة.

تحمل هذه الشرُوح فضلاً عن معنِّم الفوقيَّة معنِّياً سياقياً متصلًا بمفردة رأساء، وحاملاً للسمة اللونية التي تُتَّخذ من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل فيقال رأساء ورحماء وخمْرة.

ويأتي معنِّم التتابع علامَةً مميزة قيَّدها السياق الاجتماعي في الاستعمال. ويظهر هذا جلياً في شروحات الآية:

وُلد ولدها على رأس واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأساً على رأس أي واحداً في إثر الآخر.

ويُنهي ابن منظور شروحات هذا المدخل بالتحديد المكاني لبيت رأس:

وبَيْت رأس :اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمور.

بيَّت رأس مُفردة مركبة من كلمتين، ولكنها تُشكّل وحدة دلالية واحدة تحيل على اسم علم لفضاء قرية بالشام. ويُمكن أن نفترض، في هذا السياق، بأن

---

18 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت.

مفردة الرأس تشكل علامه مميزة لهذا البيت تستمد وجودها من معنem العلو الذي يميز هذه القرية عن باقي القرى المتسمة بالمعنم السفلي. إن النواة المعنمية للرأس المتقدمة على التسمية تجعلنا نفترض أن هذه الفضاءات تقع في المرتفعات. يقدم هذا التحديد الذي يعرضه لسان العرب إضافات تُوبُولوجية بالقياس إلى الشروحت التي عرضها القاموس المحيط، والتي لا تحدد بيت الرأس تحديداً واضحاً. ويكتفي أن نقدم تحليلاً معنميّاً للشريحة لتأكد من ذلك:

القاموس المحيط: / الفوقيّة / + السعة / + الأفقية / + (السوائل الكحولية) /

لسان العرب: / علم / + الفوقيّة / + السعة / + الأفقية / + الاستهلاك  
(السوائل الكحولية) / .

إن المفردة بوصفها إضماراً سابقاً في الوجود على التلفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة، والتي في انطلاقها من نواة مشتركة تُفضي في كل مرة بفضل لقائهما بالمعانم السياقية المختلفة، إلى عدد من التحقيقات في شكل معانم مركبة تحيل على الإمكانيات اللغوية التي تستغل في تسمية الأماكن.

#### خاتمة

تأسِيساً على كل ما سبق من ملاحظاتٍ، يمكن أن يعمل صانعُ القاموس على هذه الخلفية المنهجية التي تبنتها بعض البحوث لدرازك الفروقات المعنمية للمفردة الواحدة، وضبط مساراتها التي يحدّدها الاستعمال؛ وتبدو هذه المسألة واضحةً مادامت الوحدات المعجمية تخضع لإكراهات السياق اللغوي والاستعمال الاجتماعي. ومن ثم، "فإن التركيب هو الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها تصور المعنى والتحكم في الدلالة"<sup>19</sup>. ولا يمكن أن نتحكم فيها إلا من خلال ضبط الوحدات الأولية للمعنى التي تُعد العتبات الأولى التي تُفضي

إلى مكانتها الدلالية. ولئن كانت هذه الوحدات لا تحدد ذاتها لهذه الاعتبارات، فإنَّ أغلب صعوبات التحليل المعنوي في اللغة، تأتي من استحالة تشكيل وحصر مدونةٍ مغلقةٍ يتحدد معها موضوع الدراسة. ومع كل ذلك، يمكن تجاوز هذه الصعوبات بالتعامل مع التركيبات المعجمية كما لو أنها مغلقة؛ إنَّ الذي يهم من كل هذا هو أنَّ التحليل المعنوي كشفَ عن إمكانات منهجية كبيرة، وأحدثَ طريقةً جديدةً في التعامل مع إعداد المعاجم. وستعمل نتائجها بكل تأكيد على بلورة رؤية منهجيةٍ سيكون لها مردودٌ إيجابيٌّ في صياغةِ المعاجم.